تأملات

محمد العريقي

الوطن ينتظر المزيد

□ عاشت بلادنا أسعد أوقاتها خلال الأيام الماضية باحتفالات عيد أعيادها، العيد الوطني الخامس عشر لإعادة وحدة الوطن وقيام الجمهورية اليمنية، واستنفرت صحيفة «الثورة» كل طاقمها للمشاركة في هذه الفرحة العظيمة لوضع قرائها وكل أبناء الشعب اليمني أمام الحقائق الموضوعية لقدرات وإمكانيات الوطن التي نمت وتنامت وأينعت بإنجازات كبيرة في ظل قيادة سياسية محنكة برئاسة فخامة الأخ علي عبدالله صالح، رئيس الجمهورية.

□ وانتشر عشرات المحررين والمصورين في كل محافظات الجمهورية ليرصدوا بأقلامهم وعدسات كاميراتهم التحولات العظيمة والكبيرة التي شهدها الوطن خلال الخمسة عشر عاماً الماضية، فأثمر ذلك الجهد عن ملاحق يومية حملت أسماء كل المحافظات، وتفرغنا نحن الطاقم التحريري للتجوال والانتقال من محافظة إلى أخرى من خلال قراءة الاستطلاعات والحوارات الميدانية التي أجراها الزملاء.

□ ووجدت نفسي مضطراً لأن أضع قلمي جانباً والتوقف عن كتابة عمود «تأملات» طيلة شهر مايو الماضي، واعتبرتها فرصة للتغلغل أكثر في ثنايا الوطن اليمني الكبير، وكانت السطور التي قرأتها ترسم في مخيلتي ضخامة هذا الوطن الذي يستوعب كل متناقضاتنا «حلوها ومرّها»، فالوطن يتحمل، بصبر وجَلَد، نزق العابثين والجاحدين والمغرضين في التشاؤم والمتفرغين لوظيفة «الكلام المحبط» والمستهترين بقيم وأخلاقيات المجتمع، وهذه طبيعة الحياة التي يعيش فيها بشر وكائنات أخرى بطباع وسلوكيات متعددة ومتنوعة.

□ ومع ذلك ليس من داعٍ لأن نتفرغ لمتابعة سلوكيات الشطط والحنق، وينبغي أن نعرف أن حبنا للوطن لا ينتهي عند التعبير الاحتفالي والكلمات والعبارات المنمّقة والمنقّحة، فالاحتفالات هي الحالة العابرة والاستثنائية التي تُذكّرنا بدفء وحنان هذا الوطن، الذي ليس لنا ملجأ آخر غيره، وتجعلنا نقف عند نقطة تقييمية لما أنجزناه وعملناه بالأفعال وليس بالأقوال، ويفترض أن تكون مثل هذه الاحتفالات جرعاً محفزة لانطلاقة جديدة لأعمال أكبر حجماً وأكثر إبداعاً وأوسع انتشاراً وأفضل نوعيةً، فالمستقبل سينتظر الجديد في الاحتفالات القادمة.

alariky@maktoob.com

من السبت إلى السبت

المكلا في الماضي والحاضر

■ كنا قد تحدثنا عن الاحتفالات في مدينة المكلا وأشرنا إلى أن الرحلة كانت قصيرة ولم نتمكن خلالها من الاطلاع على محافظة حضرموت ونتعرف على طبيعة الحياة في هذه المحافظة التاريخية الهامة، ولكننا بعد الإطلاع على مدينة المكلا من خلال الكتب لابد لنا أن نعطي هذه المدينة حقها من الناحية التاريخية والجغرافية والاجتماعية، ذلك أن القيادة السياسية ممثلة في الأخ/ علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية قد اختار مدينة المكلا مكانا للاحتفالات بالعيد الوطني الخامس عشر للوحدة مما يؤكد على أهميتها حاضرا وماضيا، فالمكلا مدينة على ساحل بحر العرب كانت تعرف قديما باسم " الخيصه" أي مكان الاصطياد، وأحيانا باسم " بندر يعقوب" نسبة إلى الولي المقبور فيها، وتقع مدينة المكلا بين خليجين وبيوتها عالية شامخة مطلية بالجير الأبيض من الداخل والخارج فهي تشبه شريطا أبيض اللون يحف بالبحر ولون المياه الزرقاء وخلفها سور جبلي شاهق يبلغ ارتفاعه حوالي ٦٠٠ قدم وبين قصورها العالية يمتد لسان من الأرض وسط المدينة وعلى أحد جانبي هذا اللسان

أحمد اسماعيل الاكوع

يقوم الميناء التي ترسو فيه السفن، قال مؤلف كتاب (إدام القوت):

المكلا هو اسم دال على مسماه فهو يكلأ السفن من الريح وكانت المكلا(خيصه) صغيرة لبني حسن والعكابر وملجأ تلوذ به سفائن أهل الشحر والواردين إليه من الآفاق عندما يهتاج البحر في أيام الخريف لتأمن به من عواصف الرياح لأنه مصون بالجبال بخلاف ساحل الشحر فإنه مكشوف.. وجاء في كتاب (الشامل) إن لمدينة المكلا شبه لسان ممتد في البحر يقال راس المكلا ويطلق على طرفه (اسم القشار) والقشار هو القسم الحجري منه أي يقشره البحر ويضربه الموج، وفي شرقي شبه اللسان المذكور الجامع القديم والحافة القديمة ويطلق عليها اسم البلاد أشعارا بذلك وفيه المسجد القديم وخطباؤه(آل زنبور)، وفي الجانب الجنوبي الشرقي (حافة العبيد) وأما الحصن الذي كان مقر الحكومة وغربية الفرضة فهو قبلي البلاد على شبه تل مرتفع، والفرضة هي المرسى التي ترسو فيه السفن وتنزل إليه البضائع والواردات، وتحت الحصن (كمشاري) لعلها لفظة هندية ويمتد قسم البندر الذي يطلق عليه الحافة تحت القارة من الشرق إلى الغرب إلى نهاية السور والسدة القديمة وهذه الحافة هي وجه البندر الذي يستقبل الناظر إليه من البحر ، ومن أحياء مدينة المكلا العيقة أو السيال وهي المساحة التي تتوسط أحياء مدينة المكلا وفيها تمر مياه الأمطار والسيول التي تصب في البحر، ثم منطقة خلف وهي التي تقع خلف الجبل وفي شاطئها الكثير من المواقع المناسبة للتمتع والاصطياف.

ولا شك إن اهتمام الرئيس علي عبد الله صالح بتطوير المنطقة قد جعلها تشهد الكثير من المشاريع كما اتسعت اتساعاً كبيراً في مجال البناء حيث انتشر العمران في الاتجاهين الغربي والشرقي وبسطت جبال وأكوام من التراب والرمال لتتحول إلى مدن حديثة وجديدة، كما استطاعت السلطة المحلية في محافظة حضرموت أن تصنع للمكلا حاضراً رائعاً وأن تضفي عليها المزيد من اللمسات الجمالية والطرقات والحدائق والمشاريع الحيوية كالاستشفيات والفنادق والجامعات وغير ذلك من منشآت البنية التحتية للمدينة.

قاعة جامعة حضرموت

من أهم مرافق جامعة حضرموت هي القاعة الكبرى التي تستوعب ما يقرب من خمسة الاف شخص مجهزة بالكراسي والطاولات.

مطار الريان

مطار الريان جميل ولكن تنقصه بعض المرافق والخدمات التي يحتاج إليها الركاب كالمطاعم وصالات الانتظار وغيرها من المرافق الخدمية.

شعر

يا بلادي يا (فلسطين) لقد
أغرق الدمع (فلسطين) الثكولا
كم نأت عيناي حزنا شاعراً
كلما أنبهته ازداد هموا
عجباً للدمع يجري نهراً
وفؤادي جمرة تلظى غليلا

"من قصيدة للمرحوم يحيى بن علي البشاري"

عولمة السياسة

أحمد محمد الحربي

□ عندما جعل أفلاطون من الفلاسفة حكاما في جمهوريته المثالية كان على ما يبدو (وفقا لكلام الدكتور نبيل علي) مدركا لحجم المخاطر التي يمكن أن تنجم عن انفصال الفكر عن السياسة.. وما أن أصبح الساسة من غير الفلاسفة حتى راحوا يبحثون عن سند فكري، يؤازر قراراتهم، وممارساتهم.. تارة يجدون هذا السند في الفكر الديني من أجل الحفاظ على القيم والعقائد وتارة في الفكر العسكري من أجل الدفاع عن التراب الوطني المقدس، وثالثة في الفكر الاقتصادي من أجل الاسراع في عمليات التنمية. وأخيرا اهتدى الساسة الى الفكر العلمي وسيلة مثلى لعقلنة ممارساتهم، وتمرير قراراتهم، وقد برعوا في ان يتخذوا من شبه العلم، ومن بريقه وسائل للتضليل، والتشويش.. وما أن صارت المعرفة والفكر في خدمة السياسة حتى برز السؤال المحوري.. المعرفة من من ؟ ومن أجل من ؟

فإذا كانت المجتمعات المتقدمة قد اكتشفت كم هي بعيده تلك الديمقراطية السياسية الشكلية السائدة حاليا عن تلك التي شهدتها ساحات اثينا القديمة.. او تلك التي بشرت بها حداثة التنوير فأين نحن من هذا الاكتشاف الذي ادركه من سبقونا في مجال التنمية السياسية ؟ ولا نستغرب اذا ذهب عدد من الكتاب العرب.. الى القول.. «يتميز أي واقع اجتماعي بثلاثة ابعاد اساسية اقتصادي، اجتماعي، ثقافي، وهي تتطور بتطور الواقع الاجتماعي ذاته.. ويؤكدون بان التنمية مفهوم.. اقتصادي، اجتماعي، ثقافي.. ظهر في أدبيات ما بعد الحرب العالمية الثانية.. وإن الادبيات العربية انصبت على المدخلين الاقتصادي، والاجتماعي، في بحثها عن أسس وقواعد عملية التنمية.. أما المدخل الثقافي كأحد العناصر المحثه على التنمية فلم يكن مطروقا بشكل واسع.. واثبته اليه البعض في الفترة الاخيرة.. «وطالب البعض بإعادة الاعتبار لأهمية الثقافة في عملية النهضة – في عصر العولمة – ودعا الى ادراك أهمية العامل الثقافي في بناء النهضة المنشودة.. ويشير هذا البعض الى «والواقع ان التجاهل المثير للجدل للمسألة الثقافية يعود الى تغلب الوعي السياسي والاقتصادي واستبدادهما بالفكر العربي في القرن العشرين، تحت وطأة الخطاب الايديولوجي الثقيل ومعهما تراجع الدور المعرفي والتنويري الى آخر سلم الاولويات.. وان النزعة السياسية لدى العرب كان لها السيطرة على حساب المسألة الثقافية، وفسر العجز عن الاندماج في العصر على انه مسألة سياسية، وبمجرد التخلص من فئة سياسية معينة سيسهل الاندماج في العصر بعد ذلك – ويقصد بذلك دوامة الانقلابات العسكرية التي شهدتها البلدان العربية. وكل انقلاب يزيح فئه سياسية، ويحتل مكانها.. لا يقدم شيئا باتجاه الاندماج بالعصر وزاد الأمر مرارة، إن اقضت امور الثقافة العربية السياسية في النصف الثاني من القرن العشرين. على الأقل.. الى ان يصنف العرب بعضهم بعضا.. من الجوانب السياسية.. بـ. هذا يساري.. وذاك معتدل، وهذا علماني، وذاك قومي.. وهذا اقليمي.. وذاك مسلم.. وهذا احداثي وذاك تقليدي تراثي.. وهذا اشتراكي.. والاخر رأسمالي، الى آخر ما في القاموس المعرفي من تصنيفات، وقبلنا بها، وتعاملنا معها، دونما فحص او تمحيص، واعمال فكر، والتجارب السياسية والاقتصادية العربية أظهرت زيف هذا التصنيف ان لم يكن على اقل تقدير، عدم دققه.. فالقومي الذي تسلم الحكم في بلد عربي.. يمارس نفس الاساليب التي يقوم بها الاسلامي الحاكم في بلد آخر.. وينطبق نفس الحال على التقدمي، والاقليمي والقطري وغيرهما من التصنيفات السياسية.. فالبعض ادعى المعرفة القطيعة والشاملة وهي غير ممكنه عقليا. وانسانيا، والبعض لجأ الى العنف بدل الحوار.. افتقدنا لخاصية الحوار.. ورفضنا القبول بالآخر.. كما هو.. ولم نحترم قيم الحرية والديمقراطية لا باعتبارها قيم ثقافية في الأساس، ولا في كونها قيم سياسية في الحياة.. ثقافتنا تحمل تخلفنا.. ونظرتنا تشدنا للماضي.. وننقد الحاضر.

وما يزال السؤال المحوري قائما – المعرفة من من.. ومن أجل من ؟

لقد طالب كثيرون من الكتاب والمفكرين العرب.. بضرورة إعادة الاعتبار للثقافة العربية.. فهي السبيل في بناء النهضة المنشودة.. وتحريرها من غلبة الوعي السياسي والاقتصادي ،واستبدادهما.. لكي نتجاوز حالة العجز عن الاندماج في العصر.. ومع ذلك لم تستطع ثقافتنا.. التعامل مع ظاهرة العولمة بمختلف جوانبها.. فمن رفضها مبررا عدواتها لكل خصوصية وطنية بدءا من الثقافة، وانتهاء بزوال الدولة.. وهناك من نظر اليها على انها مؤامرة تستهدف الكيان، والوجود العربي ذاته.. وهناك من يطالب بالاستفادة منها – منجزاتها – لا غراض تدعيم قيمنا، وخصوصياتنا العربية والقليل النادر هو من ذهب الى المطالبة بإعادة تشكيل العلاقة بين السياسة ومنظومتي الثقافة والمعلومات.. ومدى الدور الذي يمكن ان تلعبه تكنولوجيا المعلومات في إشاعة الديمقراطية وترسيخها وتنميتها وترشيد العلاقة بين الحكام والمواطنين.. وإن نجاح المجتمعات العربية في الدخول إلى عصر المعلومات.. لا يتوقف فقط على إعادة تشكيل ما سبق قوله أو في إشاعة الديمقراطية السياسية، ولا تتوقف على توافر المعلومات.

فقط.. فاشاعة الديمقراطية، وتوفر المعلومات تتداخل بعوامل أخرى اقتصادية، ودينية، وأمنية بالطبع.. وستظل الديمقراطية تعني قبل كل شيء اتاحة المشاركة الفعلية لا مجرد اتاحة المعلومات كما كتب د/نبيل علي.

وبها يمكن ليس فقط الاستفادة من جوانب معينة في العولمة. وانما تجنب اضرارها.. وهي تتجاوز بفعالياتها.. وتأثيرها.. حدود الاعتمالات الاقتصادية وحرية انتقال السلع والأموال دون حدود.. باتجاه تحقيق عالم بلا حدود اقتصادية وثقافية وسياسية.. هذا العالم الجديد اليوم هو عالم العولمة، الذي لا يؤمن بالحدود الجغرافية والاقتصادية والثقافية.. ويذهب بعيدا نحو عدم الايمان بالحدود السياسية.

حيث يجرى تأكيد أهمية العولمة في الجانب السياسي.. او عولمة السياسة لتكتمل شروط العولمة المنشودة.. فكيف يبدو ذلك ؟

بدون اسم..!!

الخطوة الأولى

غدير الحسين

□ عندما تخطو إلى مكان جديد في الغابة الكبيرة تنتابك مشاعر عديدة ومتباينة، فإلى جانب الفضول والإثارة فإنك تشعر ببعض الرهبة والخوف، ذلك الخوف القادم في المجهول والرابط الأول الذي يشدك إلى البوابة التي تلج فيها.

ورغم أن هذه ليست المرة الأولى التي ألج فيها بوابة الصحافة لأسطر ما أفكر فيه أو أشعر به أو أدلي برأيي حول بعض الأمور والقضايا المستجدة على الساحة – وما أكثرها – وبما أنني اعتدت على كتابة ما شئت، أنّى شئت ومتى شئت، إلاّ أنني شعرت بالخوف والرهبة حين وجدت أنني سأطل يومياً وللمرة الأولى عبر صفحات إحدى الصحف، فمجرد التفكير في أنني قد أكون ضيفة ثقيلة على القراء يصيبني بالهلع، فتضيع كلماتي ويعجز قلمي عن الكتابة، وربما لشدة هلعي لم أستطع أن أجد اسماً يناسب زاويتي التي قد تجبرون على تحمّل ثرثرتي من خلالها.

ولا أكتمكم القول أنني بحثت كثيراً وأمعنت التفتيش في خزائن كلماتي القديمة والجديدة، وكلما وجدت اسماً، أكتشف أن أحد الكُتّاب سبقني إليه، لدرجة أنني فكرت في أن أسميها «افتح قلبك»، ولكنني خشيت من أن يقاضيني صاحب البرنامج الإذاعي الرائع «جورج قرداحي»، ليس لاستعارتي اسم برنامجه الشهير فحسب، ولكنني أعتقد أنه سيخشى من أن تتحول زاويتي في الصحيفة إلى برنامج على الفضائية اليمنية يحقق أعلى نسبة مشاهدين على الإطلاق، فالساحة اليمنية تشهد «عراكا» وحراكاً سياسياً وصحفياً فريداً من نوعه، وهو بلا شك يمثل مادة دسمة يحلم بها أي برنامج، وربما لو لجأت الأطراف المتنازعة إلى الحوار عبر برنامج «افتح قلبك» لكانت وصلت إلى حل يرضي جميع الأطراف، خصوصاً أولئك محبي الظهور على شاشات الفضائيات، فمثل هذه البرامج تعد فرصة نادرة لهؤلاء، فقد يُعجب أحد كبار المخرجين بطريقتهم في الجدال والمناورة، فيرشحهم للقيام ببطولة أحد أفلامه، وربما يحالف أحدهم الحظ فيصبح من مشاهير هوليوود، رغم أنه قد يضطر إلى تغيير اسمه حتى يتناسب مع نجوميته الجديدة، ولكن لا تسألوني أي اسم قد يختار!! فما زلت حائرة أبحث عن اسم لزاويتي.

وللبحث بقية؛؛؛

□.. يظل الجهل عدواً للإنسان لكونه يمثل مدى ضيقاً من التفكير والسلوك والممارسة يستهدف إشباع الأنا بما لا يراعي أي من حقوق غيره وبما لا يمثل مراعاة لأي حدود تتجاوز ما يظهر من المعتاد من السلوك العام، ولذلك أول ما نزل به القرآن العظيم هو كلمة " إقراء " محددا بذلك الخطوة الأولى للتأمل في هذا الكون الفسيح وما يحتويه من طبيعة ومخلوقات وظواهر وحقائق ونظم سُخّرت لخدمة الإنسان المستخلف لعمارته وفقاً لخطى مشروعة من الخالق عز وجل يؤدي الخروج عنها أو تجاوزها أو التأخر عنها إلى خسارتين دنيوية وأخروية.

هل للانهيار العربي علاقة بغياب الديناميكية المعرفية؟

كما أن القرآن بتلك الآية حدد العلم كطريقة ومنهجية للتعمير ضمن منظومة العقل الذي كرم الله به الإنسان عن سائر مخلوقاته بما يُخالف نتائج السعي والعمل في ظل هيمنة عدم استغلال المفردات المُعدّة كمحتوى استعدادي ضمن منظومة العقل كأداة تمييزية بين الخير والشر وهو ما يوصف بالجهل الذي يُفضي إلى مفاهيم وسلوكيات وممارسات مؤداها حالات سلوكية ممارسيه ضمن مفاهيم محدودة تقود إلى الخسارة والفشل وبالتالي إلى الندم كنتيجة تقييمية حتمية لما بعد الفعل أو السلوك أو الممارسة الجاهلة.

ولذلك فإن النجاح أو الفشل التقدم أو التخلف... الخ يعتمد تحقق أي منها على مدى استخدام العلم كسبيل للنجاح أو التقدم أو مدى المضي في ظلام الجهل كسبيل نتيجة تتمثل في الفشل أو التخلف وهو ما يمثل الفارق الذي نعيشه في العصر الحاضر ضمن واقع متخلف ترك للجهل الصولة والجولة على حلبة الحياة وعلى مدى مساحة زمنية طويلة أفقدته حتى مفاهيم تنطوي على قواعد ثابتة تعكس أساسيات تمثل أحقيته في اتباع سبيل العلم في مسار بحثه عن تطوره ونهضته الحياتية قياساً بمستوى متطور في حياة الآخر المستعين بالعلم كسبيل مؤدٍ حتماً إلى التقدم والتطور والنهضة الحياتية.

ظل العرب حكاماً ومحكومين يؤمنون بمحتوى ممارسي سلوكي مبني على منظومة من المفاهيم العرفية التقاليدية تأسست وتشكلت عبر منظومة مفردات لم يعلم ولم يحاول أن يعلم عن محتواها التفسيري الواسع الحقائق والضمينات غير المفيدة لحياة الإنسان وآخرته متضمناً ذلك عدم الانتباه بإمكانية التجاوز لحقيقة صالحيه المبادئ الأخرى العقدية ومبادئ عصور الإبداعات (النهضة) العربية لكل زمان ومكان بما يعنيه ذلك من صياغات مفاهيمية متجددة التطوير وفقاً للتغيرات في المفاهيم والسلوكيات والممارسات المستنتجة عملياً من واقع إنساني غير مستقر المكان أو الزمان كترجمة عملية لظاهرة الحركة أو السعي تمثل ضرورة حياتية حتمتها الإرادة الإلهية كإحدى أساسيات الوجود البشري على هذه البسيطة.

ولذلك أدت استمرارية عدم التنبه أو عدم الاستيعاب العربي لمفهوم السعي في إطار حراك مجتمعي نحو الأمام أدت إلى استمرار البساطة العربية في صورتها التقليدية بما اشتملت عليه من جمود معرفي سلوكي ممارسي أفضى إلى بروز أنظمة فرضت نفسها بمعايير تعكس أولويات تقييمية ساذجة بليدة تعتمد على ما استحفظه الكبار للصغار من مفاهيم تنحصر في مدى من مفردات خصائص شخصية تشمل معاني بطولية للأسف ظلت في إطارها التقليدي تمثل جُل أو مجمل الاهتمام الفردي المجتمعي أدى بدوره إلى التولي للأمر بناءً على مفاهيم وممارسات قسرية يفسرها مبرر مزعوم يُنسب إليه فرضية تمكنها (أي تمكن السلطة) فيما بعد من كسب الولاء والمبايعة والطاعة عملاً بمفاهيم عديدة منها عسكرية مؤداها حتمية التنفيذ وبعدها تُرفع المظلمة أو كمفهوم اجتماعي ينعكس محتواه في المثل اليمني أيضاً " تزوجيه غصباً عنك وسوف يأتي الرضا بعد الزواج " وكنتيجة لذلك فإنه عند تكون معارضه خاصة المنطلقة من الخارج فإن القول في ذلك هو كما ينص عليه المثل اليمني أيضاً " تجاه الضبى قاع جهران " سواءً كان هذا القاع في لندن أو باريس أو حتى في داخل قاعات وممرات مكاتب الأمم المتحدة... أو الخ فإنه بشكل عام غير مضر وبالتالي غير مخيف لكونه بعيداً جداً عن التفعيل على أرض الواقع.

تطلبت استمرارية البقاء في المكانة العليا للسلم الهرمي العمل على إبقاء المجتمع جاهلاً بالجديد تحقيقاً لهدف الحد من التفاعل المجتمعي مع كل جديد تفادياً لظهور إبداعات فردية أو جماعية تؤدي بدورها إلى انجذابات أو إغراءات تمثل تهديداً للسلطة حتى وإن كانت بعيدة عن السياسة ،بما يعنيه من معاني التنظير السياسي أو التقييم السياسي.

كما أنه في سبيل تحقيق تلك الاستمرارية مارست المؤسسة الحاكمة سلوكيات متنوعة الأساليب والطرق تمكنت بها من إقناع العامة بحيازتها قدرات فذة قادرة على حماية حصرية لمحتويات ومصير الوطن تبلور ذلك الوعد إلى قناعة عامة ثابتة بمرور الزمن أصبحت جزئية أو احد مكونات ثقافة عامة ينتفي معها حتى الحد الأدنى من التساؤل أو التعاطي لمسائل الحكم أو الحالة المجتمعية حتى مع محاذير قد تستهدف مصيرها (أي مصير الأمة).

بل تحولت تلك القناعة فيما بعد خاصة في عهود الاسترخاء إلى مبررات يمكن القول استعانة بها العامة كمعرات هروب بما يعنيه من تنكرها (أي تنكر العامة) لأي واجب أمني دفاعي مجتمعي معتمدة على ما تشبعت به متخذه إياها مبرراً للهروب وعدم أداء الواجب الوطني ساعة الحاجة لذلك مكتفيه بإطلاق مبرر وجوب اعتمادها على من وعد بحماية الوطن.

ويبدو أن الذي حدث للعرب جميعاً حكاماً ومحكومين أنهم أُبهروا وبالتالي أحبوا حياة غربية شرقية شمالية أمريكية أسيوية... الخ جذابة مغرية تولد عنها ارتباط أو تعلق عجيب بما شكله من مظاهر انبهار ودهشة عارمة لدى الجميع أدى إلى شبه استحالة الانفلات عنها إلى درجة عدم التمكن من التنازل عن معايشتها وتتبع الجديد عنها أفرزت مفاهيم وممارسات باتجاه معاكس لجهود مفترض أن يتولد عن بذلها مفردات وطنية باتجاه تحقق الاعتماد على النفس في إدارة حياته سياسياً واقتصاديا واجتماعيا... الخ وكذلك باتجاه مغاير لما يجب أن يكون من عمل جاد ومخلص ومنتج للتطوير المجتمعي ،أو باتجاه الدفع عنها (أي عن الأمة) أي ضرر أو عدوان.

عزز من اتباع ذلك السلوك تأثير تلك المفاهيم التقليدية عن استعدادات وقدرات ذلك البطل المصنوع بمن حوله على النصر.

في نفس الوقت وجدت السلطة العربية نفسها في حياة مفعمة بالتميز المادي والمعنوي فالتصقت بها وباتت تدافع عنها من القريب قبل البعيد ليُستبدل الإعداد المجتمعي للتأهيل الذاتي باتجاه التطوير الشامل في إطار ممارسات إبداعية تحفظ الثوابت والأرض والتاريخ.

استبدل ذلك بممارسات تعكس التصديق بزعم غير صادق أو غير حقيقي ذي محتوى يفضي إلى استبعاد حتى التفكير من إمكانية تمكن المجتمع العربي من اللحاق بموكب التطور المجتمعي العالمي وهو ما أدى إلى الارتماء في أحضان الآخر من أجل الحماية مستعينين لتحقيق ذلك أرضية واسعة من الشعارات ذات بعدين رئيسيين ،أولهما شعارات مزيفة تقليدية ضد أو باتجاه الآخر غير المتفق معه نظرياً وثانيهما شعارات تبقي على التصورات المجتمعية التقليدية الحماسية كما يتخيلها مجتمعه فيه كما هي لديهم ثابتة عن شجاعته ومقداميته ضمن أساطير تاريخية شهيرة.

ظل الجهل العربي بما يعني ذلك من أُمية مخيماً على العقلية العربية تأصل في أو متخذاً من الجمود المعرفي السلوكي ألمارسي للأسف ملاذاً عزز بناءه الحاكم حتى وجد أو اكتشف حديثاً قبحه ورعبه (أي قبح ورعب ذلك الجمود) انعكس خاصة منذ الماضي غير البعيد في صورة تشكيلية لا تُسر الناظرين تُجسم نوعية حياة بشرية تشابه تلك التي سادت العصور القديمة أو الوسطى وهو ما مكن الآخر من استيعاب ما أطلق عليه بالبساطة الساذجة في مواجهة أساليبه المحتواة ضمن مفردات متطورة من المفاهيم والمبادئ السياسية والدبلوماسية استطاع بها أولاً إقناع العربي بالوقوف ضد امبراطورية إسلامية عمل (الآخر) ليل نهار على تدميرها ثانياً بل استطاع أن يقنع العربي بأنه لم يخدعه باتفاقيات سايكس- بيكو الإحتلالية وأنه قد عمل بكل جهده على إصدار قرارات أممية مفادها المطالبة بخروج المحتل من أراض عربية محتلة ،ثالثاً بل وصل الحال إلى أن تمكن الآخر من إقناع حكام عرب بأن يعوضوا مادياً عن أي شيء يقوم بتدميره المحتل داخل الأراضي العربية المحتلة وغير المحتلة.

د/علي صالح الحجري

والحقيقة أن للسلطة دوراً رئيسياً في إظهار المعادلة التي كانت ولا زالت إحدى نتائجها بروز الارتباك السلطوي والمجتمعي على السواء كظاهرة غريبة أو لنقل غير طبيعية نسبت إلى عديد من العوامل أهمها أولاً انعدام أو فقدان مقدرة العامة على تحديد مصادر وأسباب انهيار وتلاشي وذوبان منظومة الإمكانيات البشرية وغير البشرية التي كانت قد تمكنت من الاستحواذ على حيز هائل من مرتكزات اهتمامات الذات العربية بما أفرزته من مفاهيم وممارسات تتضمن قدراً هائلاً أيضاً من الفخر والاعتزاز والثقة شبه المطلقة المتشبعة والمقتنعة باستحالة هزيمتها جميع مكونات الإدراك العاطفية وغير العاطفية بما فيها الذهن والعقل والقلب العربي من المحيط إلى الخليج.. كما نُسبت إلى مفاجأة تمثل مضمونها في سرعة تتابع حلقات المد والجزر التغييرية حتمت بدورها حدوث انتكاسة الزعم البطولي بما يعني ذلك كشف كذب أو فرية التفرد القدراتي البطولي المصطنع مثّل أيضاً مصدر مفاجأة من حيث ثبوت فقدان السيرة الذاتية أو الملخص المهني لمفردات تأهيلية تعكس حداً أدنى من الكفاءة الإدارية والقيادية باستثناء خصائص دهائية خداعية موروثة كثيراً أصبحت ذات مستوى حدي ومحدود بما يكفي ،في حالة عدم المرونة مع التعاطي الفعلي مع الواقع ،بالكاد من التمكين مؤقتاً من الحفاظ على المكانة النخبوية إذا لم تؤد فقط إلى التمكن من تحمل مسئولية الدفاع عن النفس عند الوصول إلى مرحلة مساومة السلامة لمرحلة ما بعد السلطة الشمولية الديكتاتورية.

ومن غرائب مظاهر رد الفعل تلك استمرارية التمسك بل والإصرار على صحة وبالتالي الأخذ بمبررات أعلى السلم الهرمي للقيادة للهزيمة حتى ولو أصبحت هذه أو تلك القيادة ضمن قائمة الأسرى أو المفقودين أو في عداد الأموات يُفسر ذلك أو يجب أن يُنسب ذلك إلى عديد من العوامل أو الحقائق نتناول منها ثلاث حقائق أولهما تتمثل في المدى الزمني الواسع المستغرق لتجذر تلك المفاهيم الولائية المبنية على أسس دينية استعين بها لتحفظ استمرارية تملك أو احتكار السلطة عالية المقام المحرم التشكك في شخصية قمة هرمها أو قدراتها العقلية أو العضلية لما يُختزل من رمزية في القمة السلطوية كل العناوين البطولية المتميزة وثانيهما تتمثل في الممارسة القمعية لعقود من الزمن عززت كثيراً من التحذير لمفاهيم وجوب الطاعة والتسليم بأحقية السلطة في التصرف كيفما تشاء ومتى تشاء وأينما تشاء وبمن تشاء بما يتضمن ذلك من مفاهيم وممارسات عنفوية تخويفية مرعبة تستهدف مسح أي بذرة تأملية حول السلطة أو حول الحالة المجتمعية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية لما تمثله من حالة من الحالات التابوية المحرمة التناول مجتمعياً اعتقاداً لما يمكن أن تمثله من خطورة ناتجة عن تأثيرات تثير سلوكيات عصيانيه فردية أو جماعية مهما كانت عظم مفرداتها التبريرية ،وثالثهما تتمثل في الركون إلى الكسل والخمول والإتكالية الجماهيرية حتمتها عدة عوامل منها السياسات القمعية بما تضمن ذلك من إجبارية عدم التفعيل للفكر والممارسة والاكتفاء بما تسمح به الجهات السلطوية.

تلك المفاهيم والممارسات مثلت أسس ظهور بوادر فاضحة حيث تمثلت أهم تلك البوادر في أولاً فشل إدراك أو جهل أو تجاهل أو لامبالاة السلطة بحتمية التغيير التي بدت من ضمن البديهيات والممكن التعرف عليها بالحد الأدنى من التتبع الواقعي المنهجي لدلولات حدثية تفرضها عديد من العوامل السياسية الاقتصادية الاجتماعية... الخ والتي تمثل زخماً مؤداه حراك مجتمعي باتجاه واقع جديد بمعطيات وحيثيات حديثة تتميز بتغيرات عديدة لها إفرازات بمظاهر ومضامين جديدة من المفاهيم والسلوكيات تتصف في جوهرها بالتروي والورع والحكمة والقرارات المدروسة... الخ ضمن مفردات ذهنية عقلية ممارسيه تعكس منظومة معرفية حديثة للسياسة والكياسة والدبلوماسية للأسف لم يحظ أو يتمكن العربي حاكماً ومحكوماً من استيعابها وثانياً فشل إدراك أو جهل أو تجاهل أو لامبالاة متخذي القرارات باتجاه متغيرات حدثية مثلت وقود تغيرات أدت إلى ردود أفعال أو تسويات تضمنت حتمية فرضية مفاهيم وممارسات تغييرية باتجاه واقع جديد يحتوي على مفردات تبريرية تتمتع بحيازة منطق ضمن سياق تيار جارف للمنظومة التقليدية الخاضعة لمفاهيم الجمود المجتمعي الذي وجد أنه أصبح عقبة بل أصبح ظاهرة تشُدّ حتى الآخر نحو الخلف.

وثالثاً عجز أو عدم تمكن السلطة من الإثبات عملياً على مقدرتها على تحقيق ما غرسته طيلة عقود من الزمن في أذهان الجماهير من بطولات وقدرات تحرر الأرض والإنسان.

فقد فشلت قمة الهرم الحاكمة في المواجهة مع من تبرر بقاءها به منتهياً بها الحال إلى عدم القدرة أو العجز أو الخذلان باتجاه الاستجابة لصرخات نساء وأطفال وشيوخ مدن ومخيمات فلسطينية في جنين ورفح... الخ مؤكدة بذلك تخليها عن أهم قضية عربية اسلامية مفوضة بذلك أو مكلفة لذلك ضمنياً (ربما عن غير قصد) لمن يحاول أن يستغلها (أي يستغل أهم قضية عربية إسلامية) كأساس لبناء طموح شخصي بادعاء حماية الإسلام متخذاً العنف سبيلاً لتحقيق ذلك.

وعموماً فإن السلطة كما تبدو من محتوى ضمنيات نتائج سلوكياتها وممارساتها في هذا السياق كانت قد تمادت في التركيز الذهني الممارسي المتمثل في الإمعان في استغلال الوقت والجهد والمال من أجل حماية استمرارية البقاء تحولت مظاهر ذلك الإمعان إلى بذور التغيير انعكس ذلك في كل ما أحاطت به نفسها من وسائل ربما حتمتها حيثيات ومعطيات إحكام القبضة المجتمعية بما يعني ذلك من اعتمادها على تدرجات هرمية عسكرية أمنية مخابراتية سرية مترابطة ضمن حلقات بقدرات غير عادية غير مفهومة وغير متوقعة مثلت الشريانات الرئيسية لإحكام القبضة المجتمعية.

لا شك أن المفاجأة قد أفقدت كلاً من النخبة الحاكمة والعامة توازنهما بفرض واقع يتطلب استحداث أولويات جديدة تحتم استنهاض همم خاصة لدى السلطة ظلت ولفترة طويلة غائرة في سبات عميق يتطلب إيقاظها عديد من مفردات خطواتية أو إجرائية أهمها أولاً العمل على التمكن من استنهاض القدرة على التماسك الذاتي والتصديق وبالتالي العمل وفقاً للآية القرآنية التي تؤكد على حتمية تداول الأيام بين الناس " وتلك الأيام نداولها بين الناس... الخ الآية " باتجاه محاولة تحقيق أو إنجاز الإقناع الذاتي بحتمية الاستماع إلى المنطق الجديد وإفرازاته من معطيات توجب التعاطي بجدية في قضايا الشعوب بما يتضمن ذلك من وجوب التسليم بمعطيات وحيثيات أصبحت تفرض المرونة الذاتية تجاه إمكانية التداول السلمي للسلطة بما يعني ذلك من التنافس الديمقراطي وفقاً لبرامج تنموية وبالتالي ما تعنيه من إمكانية انتهاء مراحل سادت فيها أنظمة غير ديمقراطية.

وثانياً التمكن من اتخاذ خطوات وإجراءات عملية توحي بمرونة جديدة في التعاطي مع مفاهيم ديمقراطية وفي النموذج اليمني ما يؤكد على وجود تلك المرونة وثالثاً العمل على التبني الفعلي لتأسيس المفهوم والممارسة الديمقراطية.